الجهاد في الرُّبط والخوانق في بلاد ما وراء النهر
-دراسة تربوية علمية -

أ . م . د جهاد عزت عبدالله
كلية القلم الجامعة / كركوك

المستخلص

الرباط في الأصل ، الإقامة على جهاد العدو بالحرب ، وارتباط الخيل وإعدادها ثم صار لها أهداف أخرى مثل ؛ توفير أماكن لزوار المدينة المقدسة وحجاجها الوافدين عليها ، كما صار من أهدافها التعليم الديني وبعض الطرق مثل : الصوفية .

وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [1]، أي اصبروا على دينكم وصابرو عدوكم ورابطوا أي أقيموا على جهاده بالحرب .

والخوانق هي البيوتات التي كانت تقام لإيواء الصوفية الذين يخلون فيها للعبادة ويسمى (رباط الصوفية) ، أو بمعنى آخر بيت أو مقام الدراويش والمرشدين الذين يجرون مراسيم تصوفهم .

انتشرت في بلاد ما وراء النهر الربط والخوانق وخاصة في بخارى وسمرقند وغير ذلك من المدن ، حيث قدره ابن حوقل في كتابه (صورة الأرض) أكثر من عشرة آلاف رباط ، وكان في سبيل الجهاد وإيقافها في سبيل الله وهذا ما أكده القزويني في كتابه (آثار البلاد وأخبار العباد) ....

ووجدت العلاقة بين علماء ما وراء النهر ومدن إسلامية في العراق والشام والقدس والحجاز وشمال أفريقية والأندلس وذلك لدراسة العلوم الدينية في الربط والخوانق .....

المقدمة:

الربط : جمع رباط أنشأها القادة العسكريون لأغراض الحماية من غزوات الأعداء ثم صار أهدافها التعليم الديني ، وبعض الطرق مثل : الصوفية .

والرباط هو ثاني من لزوم الثغر من رباط الخيل ، وقوله تعالى : ﴿وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ قيل معناه : حافظوا وقيل : واظبوا على مواقيت الصلاة وفي الحديث عن أبي هريرة ، أن

رسول الله (ﷺ) قال : ((ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : ((إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط)).

والرباط في الأصل ، الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها ، فشبَّه ما ذكر من الأفعال الصالحة به ... ، وقد أراد النبي (ﷺ) بقوله : (فذالكم الرباط) ، قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ ، وجاء في تفسيره اصبروا على دينكم وصابرو عدوكم ورابطوا أي أقيموا على جهاده بالحرب .

ومن الإسلام في الغزو والدفاع ، فذهب هذان المعنيان (الربط والخوانق) في الشرق ، وصار الرباط إلى معنى (خانقاه) و (خانكاه) بالفارسية ، وصار المرابطة إلى عبادة الصوفية فيه وتزهدهم ، فالخانقاه دار لسكنى المتصوفة ، أي هي بيوتات التي تقاد لإيواء الصوفية الذين يخلون للعبادة ، ويسمى رباط الصوفية ، أو وبمعنى آخر بيت أومقام الدراويش والمرشدين الذين يجرون مراسيم تصوفهم .

انتشرت الربط والخوافق في بلاد ما وراء النهر ، ولاسيما في بخارى وسمرقند واسبيجاب ومدن أخرى ، حيث قدر ابن حوقل في كتابه (صورة الأرض) عددها أكثر من عشرة آلاف رباط ، وكان ذلك في سبيل الجهاد وإيقافها في سبيل الله وأهل العلم ، وهذا ما أكده القزويني في كتابه (آثار البلاد وأخبار العباد) .

وفي أثناء دراستنا الجهاد في الربط والخوانق في بلاد ما وراء النهر وجدنا أن العلاقة الوثيقة بين مدن ما وراء النهر ومدن إسلامية في العراق والشام والحجاز والقدس وشمال أفريقيا والأندلس ، وذلك لتبادل العلماء والمشايخ لدراسة العلوم الدينية المختلفة في الربط والخوافق .

تم تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة فصول ، والفصول إلى مباحث .... ، ففي الفصل الأول مبحثان ، في المبحث الأول كتبنا عن التعريف بالربط والخوانق ، ثم ركزنا في المبحث الثاني على انتشار الربط والخوانق في بلاد ما وراء النهر .

أما الفصل الثاني ، ففيه مبحثان ، الأول عن تأثير الربط والخوانق في الثقافة الإسلامية ، أما الثاني كشفنا العلاقة للربط والخوانق في بلاد ما وراء النهر بالمدن الإسلامية الأخرى .

وفي الفصل الثالث كتبنا عن الجهاد في الربط والخوانق في بلاد ما وراء النهر ، وعرضنا المراكز الثقافية وأسماء الأربطة في بلاد ما وراء النهر ، وكتبنا بما قدم علماء الصوفية في الربط والخوانق خدمات جليلة للمجتمع وخلفوا تراثاً زاخراً في الأدب والأخلاق ، ثم دونا خلاصة البحث ثم الهوامش وبعده سجلنا أهم المصادر والمراجع ....

وأخيراً خلاصة البحث باللغة الإنكليزية .

الفصل الأول

المبحث الأول

التعريف بالربط والخوافق

الرباط والمرابطة ، التي هي ملازمة ثغر العدو [1] ، ويقول ابن منظور [2] ((رباط الخيل مرابطتُها ، والرباط من الخيل الخمسة فما فوقها ، والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو وأصله أن يربط في واحد من الفريقين خيله ، ثم صار لزوم الثغر رباطاً ، وربما سميت الخيل أنفسها رباطاً ، والربّاط : المواظبة في الأمر)) .

والربط ، وهي جمع رباط ، وقد أنشأها القادة العسكريون لأغراض الحماية من غزوات الأعداء ، وصار لها أهداف أخرى مثل ؛ توفير أماكن لزوار المدينة المقدسة وحجاجها الوافدين عليها ، كما صار من أهدافها ، التعليم الديني وبعض الطرق مثل : الصوفية [3] .

والرباط ، هو ثاني من لزوم الثغر ، ولزوم الثغر ثاني من رباط الخيل ، وقوله تعالى : ﴿ وصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ [4] ، قيل معناه : حافظوا وقيل : واظبوا على مواقيت الصلاة وفي الحديث عن أبي هريرة ، أن رسول الله (ﷺ) قال : ((ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط))[5] .

أطلق لفظ (الرباط) بادئ الأمر على نوع من الثكنات العسكرية التي تبنى على الحدود الإسلامية ، والمرابطون فيها رابطوا ليدافعوا عن الإسلام بسيوفهم ، وكانت الرباطات منتشرة في العصر الأموي والعباسي تبنى لتفصل بين ديار الإسلام وديار الحرب [6] .والرباط في الأصل ، الإقامة على جهاد العدو بالحرب ، وارتباط الخيل وإعدادها فشُبّه ما ذكر من الأفعال الصالحة به ، وأصل المرابطة أن يربط الفريقان خيولها في ثغر كلِّ منهما مُعِد لصاحبه ، في المقام في الثغور رباطاً ومنه قوله : فذلكم الرباط ، أي أن المواظبة على

الطهارة والصلاة كالجهاد في سبيل الله ، فيكون الرباط مصدر رابطت أي لازمت : وقيل ههنا اسم لما يُربط به الشيء ، أي يُشَّدُ ، يعني أن هذه الخلال تربط صاحبها عن المعاصي وتكفُه عن المحارم [7] .

وقد أراد النبي (ﷺ) بقوله : ((فذلكم الرباط)) ، قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[8] وجاء في تفسيره اصبروا على دينكم ، وصابرو عدّوكم ، ورابطوا أي أقيموا على جهاده بالحرب .

والعرب تُسمي الخيل إذا رُبطت بالأقنية وعلقت رُبُطاً واحدها ربيط ويجمع الرُّبط رباطاً ، وهو جمع للجمع [10] .قال تعالى : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [11]

وكانت الربط في أكثر الثغور الإسلامية التي كانت عدوان الأعداء متوقع النفوذ منها ، فهي تتغير بتغير الدول والأزمان ، وتعاقب الزيادة والنقصان ، هذا هو الرباط القديم بمعنييه الأصلي والاصطلاحي ، وكانا من مستلزمات الإسلام في الغزو والدفاع فذهب هذان المعنيان في الشرق ، وصار الرباط إلى معنى (خانقاه) و (خانكاه) بالفارسية ، وصارت المرابطة إلى عبادة الصوفية وتزهدهم ، فالخانقاه دار لسكنى المتصوفة [12] ، والخوانق [13] ، هي البيوتات التي كانت تقام لإيواء الصوفية الذين يخلون فيها للعبادة ، ويسمى رباط الصوفية [14] ، أو بمعنى آخر بيت أو مقام الدراويش والمرشدين الذين يجرون مراسيم تصوفهم [15].

ومن الجدير بالذكر أن وجدنا أهل مصر والشام لم يستعملوا كلمة (خانقاه) ، وإنما كلمة (رباط) ، أما في العراق قلما استعملوا كلمة (الخانقاه) ، ويبدو أنها استعملت بكثرة في خراسان وبلاد ما وراء النهر [16] ، لذلك شهد الخوانق حركة نشطة في التصوف الإسلامي .

وكانت الخوانق عبارة عن دور عبادة وعلم ، حيث كان يدرس فيها الفقه والحديث والقراءات والتصوف ، كما كانت مأوى للوافدين من الغرباء إلى مدن ما وراء النهر كسمرقند وبخارى ، واعتبرت مركز إشعاع ثقافي بما حوته من مكتبات وكتب في شتى العلوم [17] ؛ لذلك وجدنا للخانقاه مقام رسمي للدولة ، إذ هي تنفق عليها وتعين لها الشيوخ بمراسيم سلطانية .

هذا وقد انتشرت الخوانق بكثرة منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وهي أكبر بيوت الصوفية وكانوا يقيمون فيها بصورة دائمة ، ويتلقون مخصصات محدودة ، كما أن الخانقاه كانت مؤسسة للتعليم الديني أيضاً ، وكانت على النازلين فيها التزامات معينة للتعبد والدرس والذكر [18] .وكان لكل خانقاه شيخ يلقب بـ(شيخ الشيوخ) [19] ، ولهذا نجد في القندية [20] عدداً من الخوانق في سمرقند وبأسماء أشخاص هم شيوخ الخوانق ، منها مثلاً : خانقاه الشيخ برهان الدين مرغناني بالقرب من مقبرة جاكرديزه ، وخانقاه الشيخ درويش خان في الطرف الغربي من جاكرديزه ، وخانقاه الشيخ يعقوب أبو الليث في الطرف الجنوبي من حي رَزَنجبير ، ويعقوب هذا من أولاد الفقيه المشهور أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي وغيرهم [21] .

المبحث الثاني

انتشار الربط والخوانق في بلاد ما وراءالنهر

يقصد بما وراء النهر جيحون [22] ، وما وراء النهر هو الاسم الذي أطلقه العرب على المنطقة الواقعة في حوض نهري (جيحون – أمودريا) و (سيحون – سيردريا)[23]. اتخذت بعض الربط لمن يقيم بها على طاعة الله من المتصوفة ، وهي كالزاوية والخانقاه، فبعد أن كان الرباط قلعة عسكرية حصينة لسكنى المتطوعة الذين نذروا أنفسهم للجهاد في سبيل الله أصبح مكاناً مخصصاً للأعمال الصالحة والعبادة ، وإقامة المنقطعين للعبادة والزهد الذين اعتكفوا لتلاوة القرآن والذكر [24].

ولا ريب أن التغيير الذي حصل للربط في جميع أنحاء الدولة العربية الإسلامية ، لم يحدث في فترة زمنية واحدة ، وذلك ؛ لأن الظروف المحيطة به كان لها أثرها في ذلك فبينما نرى الربط قد بقيت محتفظة بطابعها طوال القرنين الخامس والسادس الهجري / الحادي عشر والثاني عشر الميلادي ، في بعض أقسام المغرب نرى أنه في القسم الشرقي من الدولة العربية قد تغير معناها وفقدت طابعها العسكري والحربي [15] .وفي هذا الصدد نجد في تنبيه الغافلين ، حديثاً عن النبي (ﷺ) ، برواية (أبي إمامة الباهلي) أنه قال : ((أربعة يجري عليهم أجورهم بعد موتهم ، من مات مرابطاً في سبيل الله ، ومن مات وعلم علماً أجرى له من عمل به ، ومن تصدق بصدقة جارية من ماله ورجل ترك ولداً صالحاً وهو يدعو له)) [26] .

وقد انتشرت في بلاد ما وراء النهر الربط والخوانق ، حيث قدر ابن حوقل عددها أكثر من عشرة آلاف رباط [27] ، وكان ذلك في سبيل الجهاد ، وإيقافها في سبيل الله ، وأهل العلم ، وهذا ما يؤكده القزويني عندما يقول : ((والغالب عليهم بناء الرباطات وعمارة الطرق ، والوقف في سبيل الجهاد وأهل العلم ، وليس بها قرية ولا منهل ، ولا مفازة ، إلا وبها من الرباطات ما يفضل عن نزول من طرقه)) [28] ، ثم يضيف ، فيقول: ((والطريق من حدود خوارزم إلى قصبة اسبيجاب تنتشر فيه الربط)) [29] .وفي اسبيجاب حيث اعتبر رباطها دار جهاد ، فيها ، رباط السمرقنديين والبخاريين والنخشبيين [30] .

وكان بناء هذه الربط عن طريق التطوع من قبل سكان القرى ، أو المتمكنين مالياً فمثلاً ، بنى أبو الحسين ، أعين بن جعفر بن الأشعث السمرقندي المتوفى سنة (315هـ / 927م) رباطاً ، ووقف عليه جملة من الضياع [31] ، وشيّد إسماعيل بن أحمد الساماني الربط ، وأوقف عليه الأوقاف ، وكل رباط كان يسع ألف فارس ، كما أقام الإقامات للمسافرين [32] .وكان لتمويل نفقات الربط من قبل الأغنياء أو المتمكنين دوراً أساسي ، لذلك يقول الأصطخري : ((وترى الغالب على أهل الأموال بما وراء النهر ، صرف نفقاتهم إلى الربط ، وعمارة الطرق ، والوقوف على سبيل الجهاد ووجوه الخير...))[33] .

ويبدو أن الربط ، استمرت في عهد القراخانيين ، ثم في عهد السلاجقة ؛ لأننا نرى السلطان (ألب أرسلان) الذي خلف (طغرل) وابنه (ملكشاه) ، كرسا قواهما في الدرجة الأولى للأمور العسكرية ، إلا إن الأخير على الأقل ، (كان سلطاناً مستنيراً إذ عمل جهده لتعميم فوائد الحضارة ، فقد حفر عدة قنوات ، وأحاط الكثير من المدن بالأسوار ، وشيد القناطر ، وأنشأ الرباطات في المواقع الصحراوية) [33] . وفي فترة بحثنا الجهاد في الربط والخوانق في بلاد ما وراء النهر ، لدينا إشارات بوجود الربط في سمرقند ، منها : رباط غازيان بالقرب من مزار خضر (عليه السلام) ، ورباط الشيخ أبو القاسم حكيم السمرقندي ، ورباط الشيخ أبو الحسن السمرقندي ، ورباط الشيخ محمد فضل البلخي الذي كان قاضياً في بلخ ، ثم قدم سمرقند واستوطن فيها [35] . وفي حي غانفر الواقعة في الشمال الغربي من سمرقند ، كان هناك عدداً من الربط منها : (للشيخ أبو الفوارس البغدادي ، والشيخ عمر بن أحمد مرغيناني ، والشيخ اسكندر الدارمي والشيخ زين الدين الدمشقي [36] ، وكذلك رباط الإمام فخر الإسلام علي البزودي الذي اشتهر بمؤلفاته منها : كتاب (المبسوط)، و(شرح الجامع الصغير) و(الأصول)، ثم رباط الشيخ برهان الدين الساغرجي [37] ، التي كانت واقعة

جنوب القلعة وغيرها من الربط [38] .ثم نذكر الأربعة المشهورة والمنتشرة في بخارى ، ومرو ، وهراه ، وقد عاش شيوخها في سمرقند ، منها :

رباط النسوي ، لأبي طاهر فضل الله بن عمر ، نزيل مرو ، ذكر أبو سعد وقال : ((سمع منه جدي أبي المظفر السمعاني ، ووالدي وعمي ، توفي بمرو ودفن في رباطه وله تسعون عاماً ، وكانت وفاته سنة (520هـ / 1126م))[39].

ورباط أبي علي الحسين بن علي بن أبي القاسم اللامشي ، وكان يسمى (رباط السلطان) في مرو ، وكان اللامشي ، إماماً مناظراً ، سمع الحديث من القاضي أبي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم القصّار والقاضي ، أبي بكر الحسن بن منصور النسفي توفي اللامشي بسمرقند سنة (522هـ / 1128م)[40].

وكان رباط أبي إسماعيل ، عبد الله بن محمد بن علي بن منصور الأنصاري ، في هراه ، المتوفى سنة (481هـ / 1088م) ، ومن كتبه كتاب (الفاروق في الصفات) وكتاب (ذي الكلام وأهله) ، وكتاب (الأربعين) [41] .

ثم رباط الشيخ أبو محمد الحسن الاندقي ، المتوفى سنة (552هـ / 1157م) صاحب الطريقة الحسنة في تربية المريدين ، صحب الإمام يوسف بن أيوب الهمذاني في رحلاته إلى خوارزم وبغداد ، ثم التقى به أبو سعد السمعاني ، أولاً في مرو في خانقاه الشيخ يوسف الهمذاني ، ثم في بخارى حيث سمع منه أحاديث يسيرة بروايته عن الهمذاني [42] .أما الخوانق فقد شهد حركة نشطة في بلاد ما وراء النهر ، نذكر منها : – أبو نصر طاهر بن محمد الخانقاهي ، كان حسن السيرة واعظاً رقيق الوعظ [43] .وفي سمرقند بنى أبو حاتم بن حبان البُستي ، خانقاه ، وعندما انتقل إلى نيسابور ، شيد خانقاهاً أيضاً ، ثم عاد إلى وطنه سمرقند وتوفي بها سنة (354هـ / 965م) [44] .

ومن الشيوخ الذين كانوا يمتلكون خانقاها ، الشيخ أوْلِيا الواقعة في الطرف الشرقي من سمرقند ، والشيخ أبو المكارم ، الواقعة غربي مدرسة طلاكاري ، والشيخ أبو الفضل البلخي ، في الشمال الغربي من سمرقند ، والشيخ دانيال في الطرف الشمال الشرقي من القلعة ، والشيخ أحرار إيشان بالقرب من مسجد عمر بن الخطاب ، والشيخ عيدي برون جنوبي سمرقند ، والشيخ بابا حاجي صفاء في حي قلندرخانة ، والشيخ إسحاق ختلاني والشيخ إمام علي السغدي في قرية إيشان ، والشيخ فخر الدين خان في موضع يقال له جمعة بازار [45]

. والشيخ بابا نظرأغا جاروق ثم خانقاه الشيخ عزيز وغيرها[46] .وكانت لهذه الخوانق في سمرقند ، خدمات علمية وثقافية ، وفيما يلي طائفة أخرى منها :

للشيخ أبو علي الشاشي ، الحسن بن عبد الله بن نصر الصوفي ، كتب بالشام ومصر، والحجاز ، والعراق ، وخراسان ، ونيسابور ، بعدها رجع إلى بلده سنة (441هـ / 1409م) ، وتوفي سنة (470هـ / 1077م) [47] .

وكان أبو بكر ، محمد بن الحسن بن المؤمل والمعروف بشاه الموصل ، مشهوراً وكان ثقة من بيت الحديث والصلاح والتزكية ، مات سنة (445هـ / 1053م) في نيسابور ، ثم لأبي الرجاء المؤمل بن مسرور الشاشي الخمركي [48] ... المتوفى سنة (517هـ / 1123م) ، وكان يملك رباطاً أشار إليه السمعاني ، وقال : ((حضرت عند رباطه .... والظن أني رأيت بخطه الإجازة لي ، وحدثني عنه جماعته)) [50] .

وخانقاه للشيخ أبو بكر عمر بن عبد الرحيم الشاشي ، المتوفي سنة (529هـ / 1134م) كتب عنه أبو سعد السمعاني ، ومن جملة ما سمع منه كتاب (الأربعين في الحديث) الذي جمع أحاديثه (هبة الله الشيرازي) [51] .

وخانقاه البندهي ، لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي ، وصفه ياقوت الحموي : ((إنه من أهل الفضل والأدب والدين والورع)) ، قدم بغداد وحدث وأملى بالشام وديار بكر ، وحصلت له سوق نافعة فحصل كتباً لم تحصل لغيره ، ووقفها بخانقاه له من التصانيف منها : كتاب (شرح المقامات) في مجلدين ، روى عنه الحافظ ، أبو الحسن المقدسي ، مات البندهي سنة (522هـ / 1128م) [52] .

إن كثرة الربط والخوانق في بلاد ما وراء النهر ولاسيما في سمرقند وقراها ، تبين لنا مدى اهتمام السمرقنديين بدروس الدين ، والحديث ، والفقه والتصوف ، وبطبيعة الحال انعكس ذلك على إقبال العلماء ، والشيوخ ، والمريدين ، من المدن الأخرى في بلاد ما وراء النهر وخارجها على سمرقند التي أصبحت بلا شك المركز العلمي والثقافي في القرن الرابع والخامس الهجري / العاشر والحادي عشر الميلادي .

الفصل الثاني

المبحث الأول

تأثير الربط والخوانق في الثقافة الإسلامية

أصبحت الربط والخوانق تؤدي خدمات اجتماعية ودينية وثقافية ، كالوعظ والإقراء والتحديث ، والسماع ، والإفتاء ، ومنح الإجازات العلمية ، وتصنيف الكتب [53] ، ومما ساعد على ذلك أن الواقفين على الربط أنشئوا فيها الخزائن ، ووقفوا فيها الكتب ، وعيَّنوا لها القُوّام والخزّان ، ومن يقوم بصيانتها وترتيبها .

وكان الزهاد والمتصوفة [54] ، الساكنون في الربط أو الذين يترددون عليها يرتادون المكتبات الموجودة في ربطهم ، ولهذا السبب كان بعض العلماء يتخذون من الربط أماكن للمطالعة ، والكتابة ، والاستنساخ ، والتأليف [55] ، وكانت الرحلة إلى الربط مألوفة ، حيث كان يقصدها طلبة العلم والمتفقهة [56] ، كما غدت الربط والخوانق في بلاد ما وراء النهر ، مركزاً لالتقاء علمائها بالعلماء القادمين من المدن الأخرى الذين نزلوا في الربط ومارسوا أنواعاً من الأنشطة العلمية كالتدريس ، وعقد المجالس العلمية والدينية ثم المناظرات التي كانت تجري بهم [57] .

وكان للأربطة أنظمة متوارثة ترعاها الدولة والأفراد ، وكانت الدوافع لها ابتغاء وجه الله تعالى طلباً للعبادة والعلم ، متجردة من المنافع الدنيوية ، لذلك نرى أن الأفراد التابعين للأربطة هم من المتطوعة وأهل التقوى والورع ، وربما كان هناك اختيار لقبول المرابطين للتأكد من استعدادهم لقبول نظامهم ، ثم كان للتدريب العسكري في بداية ظهور الأربطة أمر لابد منه ، مادامت هذه الأربطة قائمة على الحدود [58] ، إلا إننا لم نجد نصاً إلى التزام المرابطين بالتدريبات العسكرية ، إلا إن مارسيه يقول : ((إن المرابطين كانوا يستبدلون بجماعات آخر بين فترة وأخرى ، أما في اليوم العاشر من محرم ، أو بداية رمضان ، وفي عيد الأضحى ، وكان يقوم بهذه المناسبة سوق عام)) [59] ، وفي داخل الأربطة ، كانت الحياة بسيطة ؛ لأن المرابطين ، كانوا يعملون على تحقيق الاكتفاء الذاتي وذلك عن طريق الصدقات التي يتصدق بها أهل الخير ، وقيل عن طريق الصيد أو فلاحة الأرض [60] ، وهكذا كانوا يقومون بإعداد الطعام والرضا بالقليل منه مقتدين بالرسول (ﷺ) ؛ لأنه أكل خبز الشعير غير المنخول ، وما ذم طعام قط [61] ، وكانوا يقيمون الصلاة ، ويتعلمون الفرائض ، والوعظ ، وكيفية الاحتفال بمناسبة الأعياد ، ثم إن المرابط يجد ما يحتاج إليه ، كتبه المرابطون أنفسهم ، أو من الذي تبرع به العلماء وجعلوها وقفاً على هذه الأربطة [62] .ومنذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، أخذ بعض أهل الخير يقفون مساكن في ضواحي المدن ، يجعلونها مخصصة للزهاد والعباد ، وكان يصرف على صوفية الأربطة من أوقاف

أوقفت عليها سواء كانت أرضاً مزروعة أم دكاكين ، أو من الهبات التي يقدمها أهل الخير [63] . ارتبط بوجود الصوفية نشوء الزوايا والخوانق ، والخانقاه كما ذكرنا سابقاً كلمة فارسية ، تطلق على المباني التي تقام لإيواء الصوفية الذين يحلون فيها للعبادة ، وسميت في العهد العثماني (تكايا) كما أطلق عليها اسم (الربط) [64] .

تركزت معظم الزوايا والخوانق في مدينتي القدس والخليل ، وقد بدأ بتأسيسها في القرون الإسلامية الأولى ، ولم تكن مقصورة على الصوفية وإنما شغلها زهاد ومتعبدون ولم يبق من معظمها أية آثار في الوقت الحاضر [65] . أما معظم الزوايا التي لا تزال آثار كثيرة منها ماثلة فترجع إلى عصر المماليك الذين اجتهدوا في تعمير زوايا ومنشآت كانت موجودة قبلهم ، فضلاً عن إنشاء مؤسسات جديدة ، واليوم لا يعرف عن كثير من الزوايا سوى اسمها [66] .

ومن الجدير بالذكر أن الزهاد الأولون عاشوا حياة بسيطة وأقاموا معتكفات وذكر الله ، وفي القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي ، قدم عدد كبير من الصوفية إلى الديار المقدسة ، وفي مقدمة هؤلاء : (أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية ، وبشر الحافي ، وذنون المصري ، وإبراهيم بن أدهم ، والسِري بن المفلس السقطي ، وهؤلاء كانوا أفراداً في الأصل ، ثم تجمعوا في منظمات منذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ؛ ولكن رواج الصوفية إنما تم في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، وانتشرت انتشاراً كبيراً ابتداءً من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، فيما بلغت قمتها في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، حيث لقي الصوفية تشجيعاً من حكام المماليك في مصر [67] .

إن تعبيرات الزوايا والخوانق والتكايا والربط كانت تطلق على مؤسسة واحدة لإيواء الصوفية ، فإنها كانت مختلفة ، وكل منها تعني نمطاً مختلفاً من هذه المؤسسات ، فالزوايا التي انتشرت في معظم أنحاء فلسطين ، وكان في القدس أربعين منها ، هي مؤسسات شخصية ، غير مرتبطة في جميع الأحيان بالصوفية ، إذ الزاوية هي مقر رجل من الأتقياء أو بيته يجمع فيها حوله جماعة من التلاميذ وفيها مصلى ، ولهذا السبب كانت الزوايا أصغر من الربط والخوانق ، وأكثر منها عدداً ، فقد كان الاعتكاف في غرفة صغيرة أو منارة في المسجد أمراً عادياً للزهاد والعباد منذ فجر الإسلام [68] . وكان هذا المعتكف يدعى زاوية منذ عهد الصحابة ، ومما يدل على الأهمية التعليمية للزوايا ، فإن كثيراً من المدارس في

بيت المقدس ومدن فلسطينية أخرى كانت تسمى (الزوايا) ، وكان عددها ينوف عن الأربعين ومن أشهرها : النصرية والجراحية ، والدركاء ، والأدهمية ، والبسطامية ، والرفاعية ثم زاوية الهنود والأفغان ..... وغيرها [69] .

ويفرد لنا ابن الجوزي فصلاً خاصاً في كتابه (صفة الصفوة) للزهاد والصوفية الأوائل الذين رابطوا في العواصم والثغور في القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي نذكر منهم : (أحمد بن عاصم الأنطاكي) و (أبو يوسف الغولي) و (أبي إسحاق الغزاري) و (عيسى بن أبي إسحاق المسبيعي) و (يوسف بن أسباط) وغيرهم [70] . ويُعد (إبراهيم بن الأدهم) إمام المتصوفين الروحانيين ، يذكره ابن عساكر ، بأنه كان فارساً شجاعاً ومقاتلاً باسلاً رابط في الثغور وخاض المعارك ضد البيزنطيين[71]. وقد أثنى على ورعه وزهده الإمام أحمد بن حنبل ، والأوزاعي ، وسفيان الثوري... وغيرهم.

توفي ابن الأدهم سنة (162هـ / 762م) ، وهو مرابط في جزيرة من جزائر بحر الروم [72] ، ذكر المقريزي ، الرباط وهو دار يسكنها أهل طريق الله وهو بيت الصوفية ومنزلهم ، والمرابطة ملازمة ثغر العدو وقيل لكل ثغر يدفع أهله عمن ورائهم رُباط ، فالمجاهد المرابط يدفع عمن وراءه ، والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد [73] .

وقد لعبت الربط دوراً مهماً حيث برزت كمؤسسات للتربية العسكرية والدينية والثقافية ، فالناحية العسكرية ظهرت بسبب تواجد دول على حدود الدول المتربصة بالدول الإسلامية وتوافد غزاة المسلمين إليها من أنحاء الدولة الإسلامية يرابطون فيه فيتدربون عسكرياً ويحرسون ويشاركون في القتال ، وقد شبهها بعض الغربيين بالأديرة المحصنة كما للربط دورها الديني والثقافي كدراسة علوم القرآن والسنة النبوية والفقه [74] . ويورد الدارسون كلام الرحالة المقدسي ، إنه في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، كان في اسبيجاب في ما وراء النهر على حافة الحرب مع الترك (1700) ألف وسبعمائة رباط ، بينما كان في بيكند (ثغر بين بخارى وسمرقند) (1000) ألف رباط [75] ، وإذا كان هذا العدد الضخم من الرباطات في ثغرين من ثغور الحرب فما بالنا في بقية الثغور ؟ ويكون للرباط شيخ وخادم ، أما الشيخ فيكون هو الرئيس الأعلى ، وفي الغالب يعين من قبل الحكومة ، ويكون ممن اشتهر بالتصوف والزهد ، ومن أهم واجباته الإشراف على الرباط وتدريب

المريدين ، أما الخادم فأهم واجباته تنظيف الرباط والسهر على راحة النزلاء فيه ، وقد اعتبر الخدمة في الرباط أفضل من القيام بالنوافل فأحسن [76] .

وكان الرباط مسكن الصوفية كما مر بنا ، وفيه ينزل الغرباء منهم ، كما ينزل فيه الغرباء من أهل البلد [77] ، وكان محلاً للدراسة كما أشرنا من قبل ، ويقرأ فيه القرآن الكريم ، حيث ذكر ابن الفوطي أحد المتصوفة وهو محي الدين أبو العباس أحمد بن علي وقال إنه سكن بخارى وأقام برباط فيها وقرأ القرآن المجيد على جماعة [78] ، كما كانت تقام فيه أعراس الصوفية أي الاحتفال بوفاة أحدهم حيث إنهم كانوا إذا مات رجل منهم يعملون وليمة كبيرة ينفقون عليها مالاً كثيراً ، وهو بلا شك من الأوقاف المرصد للرباط ويدعون كبار رجال الدولة ومشايخ الربط يقدمون فيها أنواع الطعام والشراب والحلوى[79] ، وكانوا يعملون في الرباط حفلات الذكر والسماع ، كما يسمونها حيث يغني مغنيهم ويسمى (القوال) ، ويرقص راقصهم على طريقتهم الخاصة فيطرب الصوفية[80].

ولعل من المفيد أن نستعرض أهم ما ورد عن النشاطات العلمية في الربط والخوانق سواء في مدن بلاد ما وراء النهر وفي الشرق الإسلامي ، وخاصة فيما يتعلق بالعلوم الدينية ودراستها ، أو كانت تتخذ ملجأ للفقراء والصوفية والزهاد ، ومنازل للعلماء والطلاب الراحلين إلى واسط مثلاً لطلب العلم ونشره ، ومكاناً لتعليم القرآن والحديث والوعظ [81] .

وكان للشيخ أبي الفضل محمد بن أحمد بن عبيد الآمدي (ت 578هـ / 1182م) رباط بواسط ، ومن دوره التعليمي قيل : (شيخ من أهل القرآن والتصوف والحديث سمعنا منه بواسط كثيراً وكتبنا عنه وكان صحيح السماع له سمة الشيوخ) [82] ، غير أنه لم يذكر المكان الذي سمع عليه الذي هو في الغالب ، الرباط . وذكر صاحب كتاب الحوادث الجامعة أنه في سنة (642هت / 1244م) أنشأ أبو حفص عمر بن إسحاق الدورقي رباطاً في الجانب الشرقي من المدينة ، وأسكن فيه جماعة من الفقراء ورتب مقرئاً للقرآن الكريم ومحدثاً وإماماً وأجرى عليهم الجرايات اليومية والشهرية ، ثم أنشأ رباطاً آخر قرب المدرسة الشرابية[83]. وكانت بعض الربط مسكناً لأهل الشعر والأدب ، فقد ذكر الاصبهاني أن الشاعر أبا الفرج العلاء بن علي بن محمد السوادي ، كان يسكن في رباط قراجه ، وكان الاصبهاني يلتقي بواسط فأشار إلى فضله على الأدب هناك [84] .

ويتضح من النصوص التاريخية أن الربط في بلاد ما وراء النهر ، لاسيما في سمرقند وبخارى كانت أهلية ينشئها الزهاد والمتصوفة ، وليس لدينا ما يشير إلى أن الدولة قد أنشأت

رباطاً فيها ، ويكون للرباط عادة شيخ وخادم كما ذكرنا سابقاً [85] ، ونجد إشارة إلى رتبة شيخ الشيوخ [86] ، الذي كان يتولى على ما يبدو تعيين الشيوخ في الربط العائدة له والإشراف عليهم ، وكان يوصي بتعيين من يخلفه بعد وفاته [87]

المبحث الثاني

علاقة الربط والخوانق في بلاد ما وراء النهر بالمدن الأخرى

إن تبادل الزيارات بين مدن بلاد ما وراء النهر بالمدن الأخرى في المشرق والمغرب الإسلامي ، يكشف لنا بأن الأربطة في المشرق الإسلامي هي البيوت التي كان يقيم فيها الفقراء ويتفرغون للعبادة والتعليم ، بينما في المغرب الإسلامي ، فالرباط ثكنة عسكرية ذات مدخل واسع تحيط به غرف ، وقد يكون على طابق واحد أو طابقين تعلوه صومعة مستديرة للأذان ، ولاسيما لمراقبة السواحل اتقاء الغارات البحرية الموجهة من طرف أساطيل الروم [88] ، لذا فلا غرابة اشتراك المجاهدون من مدن بلاد ما وراء النهر إلى جانب إخوانهم المجاهدون في المغرب الإسلامي ضد الغارات البحرية الموجهة من أساطيل البيزنطيين [89] . ويكشف لنا الباحثون حول العلاقات بين مدن بلاد ما وراء النهر والمدن الأخرى في المشرق الإسلامي نذكر منها ، الربط ببغداد وبعضها خارج بغداد في مدن العراق الأخرى ، وعلاقتها بمدن بلاد ما وراء النهر ، مثال ذلك الزاوية الجاكرية وهي تقع بقرية وأذان قرب سامراء نسبت لمنشئها الشيخ محمد بن دشم الزاهد الحنبلي المتوفى سنة (580هـ / 1184م) . وفي داخل بغداد رباط الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وقد كان هو في حياته يقيم فيها ثم أقام فيها ابنه من بعده ، وقد توفي سنة (600هـ / 1203م) [90] .

ورباط العميد بالجانب الغربي وجاء عنه أنه عندما ورد الشيخ أبو الفضل عبد المنعم لابن عبد العزيز النطروني الإسكندراني بغداد واستوطنها ، وكان عالماً فاضلاً أديباً شاعراً ، مدح الخليفة الناصر فأنعم عليه بجائزة قيمة ثم ولاه بلاد المغرب وتوفي بعد عودته ببغداد سنة (603هـ / 1206م) [91] ، ورباط المأمونية وقد تولاه الشيخ رضا الدين عيسى بن عبد الله بن أبي عيسى الشهرباني ، ثم صرف سنة (618هـ / 1221م) فتولاه الشيخ شهاب الدين عمر السهرودي حتى إذا توفى سنة (632هـ / 1234م) ، تولاه بعده ابنه الشيخ عماد الدين أبو جعفر محمد بن شهاب الدين السهرودي [92] ، ورباط الخلاطية ورتب به شيخا العدل يحيى ابن سعد الزدي ، وخلع عليه سنة (637هـ / 1239م) [93] . وبهاء

الدين أبو الفضائل أحمد المهيني ، وكان من الصوفية البارزين ، سلم إليه الخليفة هذا الرباط والنظر في أوقافه من غير أن يجعل عليه مشرفاً ثقة منه ، وقد قصده أناس من بلاد ما وراء النهر ، إلا إنه عزل بوشاية عنه وصلت إلى الخليفة ، وتوفي سنة (611هـ / 1214م) ، وجعل مكانه القاضي الزنجاني [94] ، ورباط المرزبانية وتولى فيه الشيخ رضى الدين الحسن بن محمد بن محمد الصغاني ، وتوفي سنة (643هـ / 1245م) [95] ، ورباط شيخ الشيوخ أبي سعيد بالمشرعة وتولى مشيخته والنظر في أوقافه قطب الدين محمد بن عبد الرزاق بن سكينة ، إلا إنه رغب في تولي بعض الأمور فترك مشيخة الرباط ورتب حاجباً بباب المراتب ، وقد أعطى مقابل ذلك قرية فأجيب إلى سؤاله فبقى يسيراً ثم سئل إعفائه عن الخدمة وإعادته إلى المشيخة ، فأعيد ثم سأل أن يرتب ناظراً في مناثر التمور فرتب ثم عاد إلى مشيخة الرباط والنظر في أوقافه إلى أن مات سنة (644هـ / 1246م) [96] .

ونظراً لكثرة الربط وكثرة المشايخ الذين كانوا يرتبون ، كما رأينا بأمر من الخليفة ويُعزلون بأمر منه أيضاً فقد أوجدوا رتبة جديدة هي شيخ الشيوخ لمشايخ بغداد [97] ومن الذين شغلوا هذه الرتبة شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل المتوفى سنة (600هـ / 1203م) [98] ، وأبو بركات إسماعيل [99] ، وشمس الدين عبد الرحمن[100]، وعماد الدين أبو جعفر محمد بن شهاب الدين السهرودي [101] . ولابد ذكر بعض الربط التي أنشأ بواسط ولها علاقة بالأربطة الأخرى في بلاد ما رواء النهر نذكر منها :

ربط ابن القارئ التي أسسها الشيخ أبو الفضل علي الواسطي المعروف بابن القارئ القرشي المتوفى سنة (539هـ / 1144م) [102] ، وربط الأنصاري التي كانت تنسب إلى مؤسسها الشيخ الزاهد منصور الأنصاري المعروف بالرباني البطائحي المتوفى سنة (540هـ / 1145م) [103] ، ويبدو أنها كانت متعددة كالتي سبقتها ، هذا وقد أنشأ عمر بن إسحاق الدورقي في سنة (643هـ / 1244م) رباطين الجانب الشرقي من واسط ، كان أحدهما يقع بجانب جامع رقاق ، أما الآخر فقد كان على دجلة قريبة من المدرسة الشرابية [104] .

ومن الربط الأخرى رباط قراجه ، وكان يقع على دجلة [105] ، ورباط ابن الاغلاقي الآمدي الذي ينسب إلى مؤسسة الشيخ أبي المفضل محمد بن أحمد عبيد الله الآمدي المعروف بابن الاغلاقي المتوفى سنة (578هـ / 1182م) [106] ، ورباط النوي [107] ، ورباط القربتي [108] . ولم يقتصر وجود الربط على البرّ فإن صاحب خطط الشام يذكر أنه كان على امتداد سواحل الشام رباطات للنيل من الأعداء إن قدموا بحراً ، فأهل دمشق

يرابطون في بيروت ، وأهل حمص في طرابلس ، وأهل القدس في يافا ، فبنو المنارات وكلفوا حرساً تراقب قدوم العدو ، فإذا كان الوقت ليلاً أوقدت منارة ذلك الرباط، وإن كانوا نهاراً دخنوا وقد ثبتت منارات متسلسلة فلا يكون ساعة إلا وقد حصل النفير بين الناس استعداداً لمنازلة العدو [109] . وقد أحصى لنا الاربلّي المتوفى (726هـ / 1330م) عدد الربط في دمشق وخارجها (21) بواحد وعشرين رباطاً ، آخرها أنشأها ابن القلانسي بجبل الصالحية وتم بناؤه سنة (720هـ / 1324م) [110] ، بيد أن أشهرها رباط العالم المجاهد رسلان الدمشقي المتوفى سنة (541هـ / 1145م) صاحب الرسالة المعروفة في التوحيد والتصوف الذي لم يكن رباطه يقع داخل سور المدينة بل خارجها ، كأنه مخفر يأوي إليه حرس الحدود الذين يطوفون حول المدينة بعد إغلاقها ويتدربون على الفنون الحربية للوقوف في وجه الصليبيين حتى لُقّب الشيخ رسلان بحق (إمام السالكين وشيخ المجاهدين) [111] . يصف لنا ابن خلكان نور الدين محمود زنكي (ت 569هـ / 1273م) هذا بأنه كان ملكاً ، عابداً ، زاهداً ، ورعاً ، مجاهداً في سبيل الله، فبنى الربط والخانقاهات في جميع البلاد للصوفية ووقف عليها الوقوف الكثيرة، وأدر عليهم الإدارات الصالحة [112] وتذكر كتب التاريخ أنه كان متقشفاً ، وقد يقترض أحياناً المال جاعلاً من الجهاد المقدسة متفانياً فيها بحماسة الصوفي الراسخة [113] .

وقد سار صلاح الدين الأيوبي (ت 589هـ / 1193م) على الدرب نفسه الذي سلكه نور الدين محمود زنكي فقبل أن يشرع بتخليص البلاد من براثن الصليبيين بقي (12) اثنتي عشر سنة (570هـ – 582هـ / 1173 – 1186م) يعمل من أجل تحقيق الوحدة وإعداد قُوة الإسلام المادية والروحية ، فزاد من إنشاء الربط والخوانق والزوايا ، وجعل منها مدارس عسكرية وتربوية . يصف لنا ابن شداد – (سكرتيره وقاضيه) – شخصية صلاح الدين بقوله : ((كان رحمه الله حسن العقيدة كثير الذكر لله تعالى ، قد أخذ على عقيدته على الدليل بواسطة البحث مع مشايخ أهل العلم ، وقد جمع له الشيخ أبو المعالي النيسابوري المنعوت بالقطب[114] ، عقيدة سليمة في علم الظاهر والباطن ، وقد ورد عنه أنه خلال المعارك كان يصحب على الصوفية لأخذ الرأي والمشورة ، فضلاً عن وجودهم يعد حافزاً قوياً للمريدين على القتال ببسالة وشجاعة نادرة[115].

يقول المقريزي أن صلاح الدين الأيوبي ، أول من أنشأ خانقاه للصوفية بمصر ووقف عليها أوقافاً كثيرة ، وكان سكانها يعرفون بالعلم والصلاح ، وولي مشيختها الأكابر[116] ،

وخلال فتح صلاح الدين للقدس (583هـ / 1187م) أمر المسلمين بالمحافظة على كنيسة القيامة وبنى بالقرب منها مدرسة للفقهاء الشافعية ورباطاً للعلماء الصوفية ووقف عليهما وقوفاً ، أسدى بذلك على الطائفتين معروفاً [117] .ويؤكد ابن الوردي في تاريخه حُضور مشايخ الصوفية فتح القدس بقوله : ((وشهد فتحه كثير من أرباب الخرق والزهد والعلماء في مصر والشام بحيث لم يتخلف منهم أحد)) [118] . والروايات كثيرة تؤكد زهد صلاح الدين وتقشفه في مأكله وملبسه ، بينما يغدق كرمه على الفقهاء والصوفية ، ويوقف للقرى بما تملك من موارد وأباح خدمة للربط والزوايا ودور الفقهاء [119] .

وإذا تصفحنا أخبار المغرب في الاهتمام بالربط والخانقاهات ، نرى ظاهرة التصوف التي بدأت بالزهد ، كما في المشرق واضحة جداً في تأسيس دولة مشهورة فنجد أن دولة المرابطين (في منتصف القرن الخامس الهجري) (الحادي عشر ميلادي) منشؤها رباط إقامة أحد الزهاد في محل ناء من الصحراء وذاع أنباء زهده وتقواه في جميع أرجاء المغرب ، فقصده جموع غفيرة من الناس ومنهم (يوسف بن تاشفين) (ت505هـ / 1109م) الذي أصبح فيما بعد رئيساً لدولة المرابطين ، وقد كان الزهد والتقشف هما شعار الدولة وطابعها الخاص ، وابن تاشفين هو صاحب الموقعة المشهورة مع الافرنج في الزلاقة سنة (479هـ / 1083م) ، ومما يروى أن الإمام الغزالي الفقيه والصوفي الكبير (450 – 505هـ / 1004 – 1109م) كان يعجب بورع يوسف وصفاته حتى أنه فكر في الرحيل إلى المغرب ؛ لكنه عدل عن ذلك حينما بلغه وفاته[120].

ومن المفيد أن نشير إلى العلاقة الاجتماعية الموجودة في الربط في بلاد ما وراء النهر ومدتها وغيرها من مدن الدولة العربية الإسلامية ، هي أن الربط كانت تقدم الطعام في أوقاتها الخاصة للغرباء ، لذلك نجد أن كثيراً من الكسالى كانوا يؤون إليها ، ومن هنا نجد السهرودي يحاول أن يفرق بين هؤلاء الكسالى وغيرهم ، فيقول : ((إن المفروض بمن يسكن الرباط ، وبأكل مما يقدم فيه ، أن يكون من الصادقين الصالحين الذين شغلوا بذكر الله ، والعبادة عن العمل والكسب)) [121] ، إلا إن واقع الحال لابد أن يكون غير ذلك إذ إن التمييز بين هؤلاء الصادقين وبين من يأوي إلى الربط من الكسالى والعاطلين صعب ، مما يجعل كل فرد يسكن الرباط يقعد عن الكسب ، ويأكل من مال الربط ، ثم يعقب على هذا فيقول ، إذا كان شرط الوقف على المتصوفة ، وعلى من تزيا بزيّ المتصوفة ، ولبس خرقتهم فيجوز أكل ذلك لهم على الإطلاق فتوى ، وفي ذلك قناعة بالرخصة دون العزيمة

التي هي شغل أهل الإدارة ، وإن كان شرط الوقف على من يسلك طريق الصوفية عملاً وحالاً ، فلا يجوز أكله لأهل البطالات والراكنين إلى تضييع الأوقات [122] . وهذا ما يؤيد إليه سابقاً من أن الربط تأوي الكسالى والعاطلين من الناس ، وما يتطلبه البحث حول دور الخوانق في بلاد ما وراء النهر ومدن إسلامية أخرى ، نذكر مثلاً الخوانق التي أسست في القدس ، هي خوانق الفرقة الكرامية [123] ، أتباع محمد بن كرام المتوفى سنة (255هـ / 859م) ، وقد ذكرها الجغرافي المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) [124] ، أما أول خانقاه معروفة معرفة جيدة نسبياً وقد تزال قائمة حتى الآن ، فهي الخانقاه الصلاحية التي بناها (صلاح الدين الأيوبي) سنة (533هـ / 1137م) ، وكانت لها أوقاف كثيرة ، حيث كان أول من تولى مشيختها شيخ الإسلام وقاضي القضاة (غانم بن علي) ، وكان معظم شيوخها من بني غانم آل الغوانمة من بعده ، ومنهم شيخ الشيوخ (البرهان إبراهيم) من بني غانم آل الغوانمة الذي عمل على أعمارها وإقامة نظامها وشيّد المنبر والمحراب فيها ، وكان خير من تولى مشيختها فضلاً عن أنه ضم لها ربع أرض البقعة ليزيد من ريعها ومصادر تمويلها .

وأهم خوانق القدس ولها علاقة بخوانق المدن الإسلامية

1 – **الخانقاه الدوادارية** : وتقع عند باب العتم وقفها الأمير (علاء الدين سنجر) سنة (695هـ / 1299م) على ثلاثين نفر من الصوفية ، وكانت مدرسة في الوقت نفسه .

2 – **الخانقاه الكريمية** : وتقع عند باب حطة ، وقفها الصاحب (كريم الدين بن عبد الكريم بن المعلم هبة الله) سنة (718هـ / 1332م) ، وقد زارها ابن بطوطة سنة (726هـ / 1330م) ، وكانت مدرسة أيضاً .

3 – **الخانقاه التنكزية** : عند باب السلسلة ، أنشأها الأمير (تنكز الناصري) سنة (729هـ / 1333م) وكانت مدرسة وخانقاه ودار حديث ومكتب أيتام .

4 – **الخانقاه الفخرية** : في الجنوب الغربي من باب الحرم وقفها القاضي (فخر الدين محمد بن فضل الله) ناظر الجيوش الإسلامية المتوفى سنة (732هـ / 1336م) وكانت خانقاه ومدرسة ، هدمها الصهاينة سنة 1967م مع ما هدموه من زوايا وأشهرها زاوية المغاربة ، وزاوية أبو مدين .

5 – **الخانقاه الاسعردية** : شمال رواق الحرم الشمالي وقفها (مجد الدين الاسعردي) سنة (771هـ / 1375م) ، وكانت مدرسة أيضاً .

6 – الخانقاه المنجكية : في حارة السعدية ، أنشأها الدولة العثمانية ، لإتباع الطريقة المولوية سنة (995هـ / 1599م) ، وتعرف أيضاً بالتكية والزاوية المولوية [125] .

وبخلاف الزوايا التي اتسمت بالبساطة الشديدة ، وسيادة مظاهر التقشف انسجاماً مع طبيعتها وغرضها ، فقد اهتم المماليك بعمارة الخانقاه وزينتها وكسوتها ، وحرصوا على تدوين أسمائهم عليها كمنشئين لها منفقين الأموال على عمارتها وخدمتها والإنفاق على الصوفيين فيها . ومن الجدير بالذكر ... نجد أن أول خانقاه أسست في مصر هي (خانقاه سعيد السعداء) بالقاهرة ، وتعرف أيضاً بالصلاحية ، أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة (568هـ / 1173م) وولى عليها شيخاً ، ووقف عليها شيخاً ووقف عليها بستاناً وقيسارية ، وكانت هذه الخانقاه مخصصة لدراسة المذهب الشافعي ، وممن تولى التدريس فيها : (تقي الدين بن رزين) و(تقي الدين بن دقيق عبد) و(برهان الدين خضر السنجاري) ، و(تقي الدين بن بنت الأعز)، و (بهاء الدين بن تقي الدين السبكي) و (ابن حجر العسقلاني) ، وكان هؤلاء المشايخ من أقطاب العلماء بمصر في عصر سلاطين المماليك وكان لهم علاقات ثقافية ودينية مع علماء الخانقاه في بلاد ما وراء النهر لاسيما في سمرقند وبخارى وغيرها من المدن [126] . وفي عهد المماليك انتشرت الخوانق انتشاراً واسعاً ، وذكر المقريزي [127] بالقاهرة وحدها (22) اثنان وعشرون خانقاه، وكان أشهرها : –

1 – الخانقاه البيبرسية : أنشأها الأمير (ركن الدين بيبرس) (707– 709 هـ / 1306– 1309م) ، ووصفها المقريزي ، بأنها أجمل خانقاه بالقاهرة بنياناً وأوسعها وأتقنها صنعة ، وبنى بجانبها رباطاً كبيراً وقُبة لضريحه ، ورتب بالقبة درساً للحديث النبوي ، وكانت لهذه الخانقاه عدة أوقاف بمصر والشام ، وكان (عبد الرحمن ابن خلدون) ممن تولى مشيختها .

2 – خانقاه سرياقوس : تقع هذه الخانقاه خارج القاهرة ، ناحية الشمال أنشأها (السلطان ناصر محمد بن قلاوون) ، وجعل فيها مائة خلوة لمائة صوفي ، وبنى بجانبها جامعاً في سنة (723هـ / 1323م) ، ولقب شيخ هذه الخانقاه بشيخ الشيوخ.

3 – الخانقاه الشيخونية : أنشأها الأمير (شيخو العمري الناصري) سنة (756هـ / 1355م) ، وكان يقوم بها درس الحديث والقراءات والفقه على المذاهب الأربعة ، وكان لكل درس شيخ وطلبة .

4 – **الخانقاه الظاهرية** : أنشأها الملك (الظاهر برقوق) سنة (786هـ / 1384م) ، وكانت تزخر بالكتب والشيوخ والمدرسين والمعيدين والطلاب في فقه المذاهب الأربعة وعلوم التصوف والقراءات والتفسير والحديث .

5 – **الخانقاه الناصرية فرج** : أنشأها السلطان (فرج بن برقوق) سنة (801هـ / 1398م) ، وكانت مدرسة للعلوم الشرعية ، وكتائب لتعليم الأيتام ، وأصبحت نواة مدينة ناشئة .

6 – **الخانقاه الأشرفية برسباي** : أنشأها السلطان (الأشرف برسباي) سنة (835هـ / 1431م) بالقرافة الشرقية ، وكانت مزودة بمكتبة زاخرة بالمصنفات الدينية والفقهية واللغوية والتاريخية والمصاحف ، وكانت تقام بها درس الفقه على المذاهب الأربعة .

7 – **الخانقاه الغورية** : أنشأها السلطان قانصوه (الغوري) ، آواخر عهد المماليك سنة (909هـ / 1503م) ، وكانت بها خزانة كتب ضمت الكثير من المصنفات والمصاحف .(128)

الفصل الثالث

الجهاد في الربط والخوانق في بلاد ما وراء النهر

الرباط حصن دفاعي كما ذكرنا ، حيث أخذ تسميته من مرابطة المجاهدين في سبيل الله فيه ، وكان الرباط مدرسة يؤمها العلماء والطلبة ، وكان العلماء يرابطون فيها فترة من العام ، وقد تكون شهراً ليدرسوا العلم احتساباً لوجه الله ، كما كان الطبيب يرابط أيضاً فترة من أجل مداواة المرضى ، وكذلك رجل البريد فالكل يرابط من أجل الجهاد في سبيل الله .(129)

جاء في مناقب النقشبندية (الخانقاه) فارسية بمعنى الزاوية أي الخانقاه ، خارج المدن كما سبق ذكرها ، هذا وإن دور العبادة والزهد هذه والتي كانت تسمى بالعراق وبعض الأقطار الإسلامية كبلاد ما وراء النهر (الرّبط) ، لم تكن دوراً مقصوراً على التعبد والزهد ، بل كانت أيضاً مواضع للتأليف ، والتصنيف ، والإقرار ، والتثقيف والإجازة ، والمحاضرات ، وقد عينت جماعة من أهل التحقيق والبحث بتاريخ التربية والتعليم والتهذيب والتثقيف في الإسلام ، وقد فصلوا القول في معاهد التعليم وتطورها وكتبوا في أثر المساجد والمدارس والكتاتيب ، وغفلوا عن تلك المعاهد الثقافية (الرّبط) التي كان لها أثر جميل في تنمية

الثقافة في أضرب من ضروبها ، وفي نشرها في العالم الإسلامي ، وتلك المعاهد [130] ، لذلك نرى أثرها في الثقافة الإسلامية متخذاً نموذجاً هو الربط والخوانق في بلاد ما وراء النهر ، ولاسيما في سمرقند وبخارى وغيرهما .

من المؤكد أن المراكز الثقافية ، والمنشآت العلمية هما أكبر دليل نستطيع به تحديد مكانة العلم والعلماء في أي بلدة أو موطن ، وعندما نلقي نظرة على تاريخ بلاد ما وراء النهر نجد أن هذه البلاد من أشهر البلاد الثقافية والعلمية بل هي منبع العلم والعلماء ، إذ على أرضها نشأ علماء الفقه والحديث والذين ذاع صيته ، بعد ذلك ملئوا الدنيا علماً وفقهاً وعليها ترعرع علماء الهندسة والفلك ، وفيها نشأ الفنون المختلفة من أدب وشعر وموسيقى ومسرح ، وكانت بخارى من أشهر هذه المدن وكانت ملتقى الطلاب من جميع الجهات ، وكان عددهم يصل إلى عشرين ألف طالب ، ومدارسها ما يقرب من مائة مدرسة [131] . ساعدت المراكز العلمية إلى ازدهار الحركة العلمية ، وتثبيت تراث العلماء بعد الهجمة المغولية التي أضاعت بعض هذا التراث ، ومن أشهر المراكز العلمية بخارى وسمرقند كما سبق الذكر ، وازدهرت فيهما المكاتب أو الكتاتيب ، ثم المدارس والمساجد ، ومجالس العلم ، وصناعة الورق ، ثم الربط والخوانق والزوايا .

يبدو لي أن العلماء والصوفية والزهاد قد اتخذوا من هذه الأربطة محلاً للتعلم والتذاكر وحفظ القرآن وتدارسه ، وكذلك الحديث الشريف ، ويحدثنا وراق البخاري ، أن البخاري كان يصنف في الربط ، قال : ((رأيته استلقى ونحن بفربر ، في تصنيف كتاب التفسير ، وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في التخريج ، فقلت له ، إني سمعتك تقول : ما أتيت شيئاً بغير علم ، فما الفائدة من الاستلقاء ؟ ، قال : أتعبت نفسي هذا اليوم ، وهذا أثغر خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأجبت أن أستريح وآخذ أهبة ، وإن غافها العدو – فاجأنا على غرة ، كان بنا حراك [132] . وغلبت أسماء الأربطة على بعض المواقع في مدينة (فربر) كانت تعرف برباط (طاهر بن علي) ، ((وقد خرج جماعة من العلماء والرواة ، منهم : محمد بن يوسف البخاري راوية صحيح محمد بن إسماعيل البخاري)) [133] .

كما نسب بعض العلماء إلى الأربطة والإقامة بها ، فالمرابطي ((بضم الميم وفتح الراء وكسر الباء الموحدة ، والطاء المهملة ، هذه النسبة إلى المرابطة وهي سكنى الثغور وعرف بها جماعة منهم أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر المرابطي البخاري)) [134] . ووردت

إشارات تدل على وجود متطوعة في مدن ما وراء النهر ، ووجود شخص مسؤول عنهم ف (أحيد بن زاوجة رئيس المتطوعة ببخارى ، روى عنه إبراهيم بن عفان البزار البخاري) [135] .

وكان العلماء الذين يرابطون في هذه الثغور يشاركون في المعارك فقد روى أن ((عبد الله بن واصل بن عبد الشكور ... أبا الفضل البخاري محدث بخارى ، حدث عنه البخاري في غير صحيحة ، ولد سنة مائتين واستشهد في وقعة خولنجة سنة اثنين وسبعين ومائتين)) [136] . وقد انتشرت الرباطات في بلاد ما راء النهر ، ويبدو أن عملية بناء هذه الربط كان يتم عن طريق التطوع من قبل سكان القرى ، أو المتمكنين مالياً وإيقافها في سبيل الله فيشير وراق البخاري إلى ذلك يقول : ((كنا بفربر ، وكان أبو عبد الله يبني رباطاً مما يلي بخارى ، فاجتمع بشر كثير ، يُعينونَهُ على ذلك ، وكان ينقل اللبن))[137] .

ومن يتتبع الطرق والمسافات في هذه البلاد يتأكد كثرة انتشارها ، وسنذكر أسماؤها فقط لنبين كثرتها مثل : رباط عتيق ، رباط خواران ، رباط تاش ، رباط طغان ، رباط جكربند ، رباط حسن ، رباط طماش ، رباط سنده ، رباط باهان ، رباط مهدي ، رباط ميان شاه ، رباط أبو سهل ، رباط دوفاج ، رباط جعفر ، رباط استانه ، رباط أسعد رباط سراب ، رباط الاوفل ، رباط مرحلة ، رباط الجبرية ، رباط قهستان ، رباط نصرك ، رباط بارس ، رباط شور ، رباط طشار ، رباط ميانة [138] . والطريق من بخارى إلى نخشب تنتشر فيه الربط ، فإذا أخذت ((من بخارى إلى نخشب في مفازة ثلاثين فرسخاً فيها رباطات)) [139] .

ووجدت هذه الربط الدعم والرعاية من قبل الولاة والأمراء ، فقد بنى الأمير إسماعيل بن أحمد ((الربط في الطرقات ، يسع الرباط منها ألف فارس ، وأوقف عليهم أوقافاً جزيلة)) [140] ، ثم إنه بنى رباطاً على باب سمرقند ، أحد أبواب مدينة بخارى وأوقف على هذا الرباط قرية شرغ وجميع ضياعها وعقاراتها . وانتشرت الأربطة أيضاً في المدن والقصبات التابعة لمدينة بخارى نذكر منها على سبيل المثال مدينة نور التي وجدت فيها أربطة كثيرة [142] .

وكذلك مدينة بيكند التي لها أربطة كثيرة ، وقد قيل أنه كان فيها أكثر من ألف رباط بتعداد قرى بخارى ، وقد كان أهل كل قرية يبعثون نفقات مبعوثيهم من قراهم [143] ، أما الحميري فيذكر أن لبيكند سبعمائة رباط خارج الحصن [144] ، وقد أخذ الانهيار يصيب رباطات بيكند بعد سقوط الإمارة السامانية [145] . وفي قصبة اسبيجاب التي اعتبرت بأنها:

((ثغر جليل ودار جهاد)) [146] . وهي ((قصبة خطيرة لها ربط ومدينة عامرة... والجامع بأربعة أبواب على كل باب رباط باب نوجكت ، باب فرخان ، باب شاكرانة ، باب بخارا ، ورباطات ، رباط النخشيين رباط البخاريين ، رباط السمرقنديين ، رباط قراتكين)) [147] .

ويحدثنا الاصطخري عن دعم الأغنياء لهذه الرابطة ((وترى الغالب على أهل الأموال بما وراء النهر صرف نفقاتهم إلى الربط وعمارة الطرق ، والوقوف في سبيل الجهاد ووجوه الخير ، إلا القليل منهم ، ليس من يلد ولا منهل ، ولا مفازة مطروقة آهلة إلا بها الرباطات ما يفضل عن نزول من طرقه ، وبلغني أن بما وراء النهر زيادة على عشرة آلاف رباط ، في كثير منها ، إذا نزل النازل أقيم على علف دابته ، وطعام نفسه إن احتاج إلى ذلك)) [148] .

وكانت الربط تؤمن حدود البلاد وتوسيعها ، وتقيم الأمن في المناطق فتصبح الطرق سالكة آمنة على قوافل التجار والمسافرين من الحجاج ، وطلبة العلم ، كما أن بعض الربط شكلت نقاط إنذار مبكرة ترصد لتحركات الأعداء وتقوم بمشاغلتهم لحين وصول النجدات من المناطق المجاورة لهم ، أو من الحكومة المركزية في مدينة بخارى حاضرة إقليم ما وراء النهر .

أما الخانقاه كما سبق الذكر تعني البيت ومقام الدراويش والصوفية والفقراء ، فقد وجدت في مدن بلاد ما وراء النهر ولاسيما في بخارى وسمرقند أو قربهما ، ولربما وجدت في المناطق التابعة لهما ، ويبدو الخانقاه هو نوع من الرباطات فيشير طلس إلى ذلك ((والربط هو الخانقاه ، إلا إن أهل العراق قلما استعملوا كلمة الخانقاه ، أما أهل مصر والشام فقد استعملوا كلمة رباط)) [149] . ومن الطبيعي أن تلحق بالرباطات مخازن للأطعمة والمؤن ، كما توجد فيها الحمامات والمطابخ لتلبية حاجات المقيمين بها من المرابطين والمجاهدين [150] .

وبما أن الربط والخوانق كان يلجأ إليها ، أو يقيم فيها طلاب العلم أثناء تنقلهم عبرها فيرجح أن تحتوي على بعض الكتب الدينية كالقرآن الكريم ، وكتب التفسير ، وكتب الأحاديث وغيرها من الكتب التي يمكن أن تدارس ، إذْ يلجأ المرابطون في أوقات الفراغ إليها لتدارسها والاستفادة منها ، وبهذا شكلت هذه الربط والخوانق محطة من مراكز التعليم في بلاد ما وراء النهر ، لذلك يعتبر الدور الأساسي للربط والخوانق في تلك البقاع من العالم الإسلامي . ومن الجدير بالذكر أن بلاد ما وراء النهر عرفت هذه الربط والخوانق منذ فترة

مبكرة تعود إلى مطلع القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، وكانت الخوانق تؤدي فيها صلاة الجمعة ، فضلاً عن الصلوات الخمس ، وكانت مراكز علمية تحتوي على مكتبات تضم كتباً تراثية متنوعة ، بل كانت هذه الخوانق مكاناً للعزلة لدراسة العلوم باستفاضة وتمعن ، وانتشرت هذه الخوانق مع انتشار الصوفية في عهد تيمور [151] وكان يتولى أمر هذه الخوانق شيخ الشيوخ أو كبير دراويش الصوفية [152] .

كانت الربط أيضاً مركزاً تعليمياً إلى جانب كونها مكاناً للعبادة والعزلة ، كما عرفت بلاد ما وراء النهر الزوايا ، أي الركن من البيت ، ولم يقل دورها عن الربط والخوانق وكانت في البداية ملحقة بالمسجد ، ثم أصبحت تلحق بأضرحة الأولياء ، ثم باتت مستقلة وقد انتشرت هذه الزوايا في أماكن متفرقة في بلاد ما وراء النهر [153] . ومهما يكن من أمر فقد قدم علماء الصوفية في الربط والخوانق خدمات جليلة للمجتمع وخلفوا تراثاً زاخراً في الأدب والأخلاق ، يقول الإمام محمد عبده : ((أنه لم يوجد في أمة من الأمم من يضاهي الصوفية في علم الأخلاق وتربية النفوس ، وأنه بضعف هذه الطبقة فقدنا الدين)) [154] ، وهناك عدد من الأحاديث النبوية الشريفة نصت على فضل العلماء على الشهداء وأن رتبة العلماء تلي رتبة الأنبياء مباشرة ، كما جاء في الأثر عن علي بن أبي طالب (ﷺ) بأن مداد العلماء يرجح يوم القيامة على دماء الشهداء))[155].

ولابد أن نشير بأن الرباطات حققت غرضها الدفاعي ، وحينما انتشر الإسلام وتكونت الأساطيل الإسلامية أخذت تشارك في الحياة العقلية ، وكان جهادها مزدوج جهاد بالسيف وجهاد بالقلم ، وأشاع فقهاء روح المرابطة بزهدهم في الدنيا وإعراضهم عن مصاحبة السلطان ، وفي أوقات تعرض فقهاء المالكية إلى الفتن والاضطهاد ، وكانت الرباطات هي الملجأ للمقاومة والدفاع عن المذهب المالكي [156] .

ومن أشهر الرباطات : رباط وادي تازة ، ورباط وادي ماسة ، ورباط تفيس وكانت هذه الرباطات يأوي إليها الصالحون والزهاد ، ويقومون فيها بالتعليم الشعبي لاسيما الوعظ أثناء الموسم الذي يعقد كل سنة في هذه الرباطات ، كرباط ماسة التي كانت لها علاقة برباط بخارى وغيرها من مدن بلاد ما راء النهر [157] ، وازدهرت الرباطات مع انتشار التصوف ، فذكر ابن الزيات ، صاحب التشوق (20) عشرون رباطاً ورابطة بالريف في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، وبحكم تعرض الأندلس لغزوات النصارى ، فقد كانت الرباطات تنتشر سواحل الأندلس وثغورها ، والأندلس أرض الجهاد [158] الدائمة

بلا شك ، وأن للرباط طابعه الحربي والديني إلا إنه أصبح قبلة تحصيل العلم والثقافة [159] ، ولم تكن الرباطات ملاجئ عطالة وانقطاع عن العمل إذ لا رهبانية في الإسلام ، ورهبانيتهم الجهاد ، والجهاد الأكبر مجاهدة النفس الأمارة بالسوء ، وطلب العلم وقد مارس الأندلسيون المرابطة باعتبارها نشاطاً معوضاً لعدم إمكانية قيامهم بالجهاد [160] .

ومن الرباطات شهرة ، رباط طليطلة ، ورباط الريحانة ، ورباط شنترين ، ومن العلماء الذين عاشوا في هذه الرباط (ابن بسام الشنتريني) المتوفى (542هـ / 1148م) ، و(محمد بن عمر بن المنذر) الملقب بأبي الوليد الذي تزهد وانزوى في رباط الريحانة ، وتصدق بأمواله ، وتميز بمعارف أدبية وفقهية ، وكانت قد تولى خطة للشورى في بلده قبل انقطاعه في الرباط [161] ، غير أن هذه الرباطات التي أدت دوراً عظيماً في الدفاع عن الأندلس ، وهذا يرفع راية الجهاد ضد النصارى وشاركت أيضاً في الحياة الفكرية بنصيب وافر .

وما أنتجه الرباطات في بلاد ما وراء النهر والمدن الإسلامية الأخرى ، لاسيما على المستوى الثقافي ، تخصيص حصص لقراءة القرآن الكريم وتفسير الحديث وعلومه وقراءة كتب الفقه وشعر المواعظ والذي يسمى (الرقائق) والتي كانت تعقد مجالس خاصة يومي السبت والخميس من كل أسبوع ، كما لا يخلو الرباط من أناشيد دينية تسمى (العادة) أو (العمل) ، والعادة هي أناشيد موحدة بين جميع الرباطات ، كذلك بُروز آثار المتصوفة والتفسير الاشاري في لغة العلماء [162] .ويبدو أن آثار كتب الرقائق ، ورسائل الزهد ، وغيرها من الرسائل المشهورة بين أيدي الناس ، كانت ثقافة العصر ، أي من رواد الروابط والخوانق من العلماء والمريدين هم رواد الأدبيات الصوفية والرقائق والزهديات ؛ لأن الأفكار والمبادئ التي نادت بها التربية الإسلامية هي :

1 – عُدَّ التعليم حقاً واجباً على كل إنسان ، عندما جاء الإسلام كان من أبرز ظواهره وآثاره في المجتمع العربي تقديره للعلم والعلماء ، ودعوته إلى التعليم والتعلم فازدهرت الحركة العلمية واتسعت مجالات المعرفة لتشمل العلوم والفنون المعروفة كلها لذلك اعتبرت دوراً مهماً للربط والخانقاه في بلاد ما وراء النهر وغيرها من المدن الإسلامية .

2 – إعلاء من شأن العلم والعلماء ، حيث نظرت التربية الإسلامية إلى العلم على أنه أسمى ما في الوجود ، فالعلماء ورثة الأنبياء . وهم لا يصلحون لحمل رسالة العلم المقدسة بعد تطهير أنفسهم من الرذائل والتحلي بالفضائل والأخلاق .

3 – ثم العقل يحرر الفكر ، حيث ضمنت العقيدة الإسلامية حرية الفكر واستخدام البحث العلمي ، وأكد تحرير الإنسان من ربقة التبعية العقلية ، وكان الرسول (ﷺ) ينظر إلى العقل نظرة إجلال وتعظيم ، فقد رأى أنه أصل الدين وأساسه ، وأن لا دين لمن لا عقل له ، كما أمر بالتواصل بالعقل واستعماله للرجوع إليه وفيه الأمان .

4 – المساواة وتكافؤ الفرص في التعليم لجميع الناس ، فقد كان النظام الإسلامي مشبعاً بهذا الروح فأتاحت الروح الديمقراطية فرصة التعلم للأغنياء والفقراء ، وحصلت النساء ومن بينهن الجواري على قدر وافر من التعليم والثقافة ، وأفادت اليهود والنصارى أيضاً .

5 – وَيُعد التربية غير محددة بالزمان والمكان ، من أبرز المبادئ معتمداً في التربية العربية الإسلامية ، فالعقيدة الإسلامية تعتمد على العقل ، وتجعل التفكير أساس الإيمان، وتقدس العلم والعلماء ، وتتطلب استمرار الإنسان في طلب العلم والمعرفة والتسلح بالثقافة ، كل ذلك يمكن اعتبارها جهاداً في الربط والخانقاه في بلاد ما وراء النهر والمدن الإسلامية الأخرى [163] .

الخاتمة :

لقد كرس هذا البحث حول الجهاد في الربط والخوانق في بلاد ما وراء النهر (دراسة تربوية علمية) ، وقد توصلنا إلى بعض الحقائق : –

1 – الربط وهي جمع رباط أنشأها القادة العسكريون لأغراض الحماية من غزوات الأعداء ، ثم صار لها أهداف أخرى مثل ، توفير أماكن لزوار المدينة المقدسة وحجاجها الوافدين عليها ، كما صار من أهدافها ، التعليم الديني ، وبعض الطرق مثل : الصوفية .

2 – والرباط ، هو ثاني من لزوم الثغر ، ولزوم الثغر الثاني من رباط الخيل وقوله تعالى : ﴿وصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ ، قيل معناه : حافظوا وقيل : واظبوا على مواقيت الصلاة ، وفي الحديث عن أبي هريرة ، أن رسول الله (ﷺ) ، قال : ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ورفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط)).

3 – والرباط في الأصل ، الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها .

4 – ومن مستلزمات الإسلام في الغزو والدفاع ، فذهب هذان المعنيان (الربط والخوانق) في الشرق ، وصار الرباط على معنى (خانقاه) ، (خانكاه) بالفارسية وصار المرابطة على عبادة الصوفية وتزهدهم ، فالخانقاه دار لسكنى المتصوفة .

5 – والخوانق هي البيوتات التي كانت تقام لإيواء الصوفية الذين يخلون فيها للعبادة ويسمى (رباط الصوفية) ، أو بمعنى آخر بيت أو مقام الدراويش والمرشدين الذين يجرون مراسيم تصوفهم .

6 – انتشرت في بلاد ما وراء النهر الربط والخوانق ، حيث قدر ابن حوقل في كتابه (صورة الأرض) ، عددها أكثر من عشرة آلاف رباط ، وكان في سبيل الجهاد وإيقافها في سبيل الله ، وأهل العلم ، وهذا ما أكده القزويني في كتابه (آثار البلاد وأخبار العباد) .

7 – وفي دراستنا وجدنا بأن بخارى وسمرقند واسبيجاب ومدن أخرى في بلاد ما وراء النهر أكثر انتشارها للربط والخوانق .

8 – وتوصل البحث بأن العلاقة بين مدن ما وراء النهر .... وبين مدن إسلامية في العراق والشام والقدس والحجاز وشمال أفريقيا والأندلس كانت وثيقة لتبادل العلماء والمشايخ ، وذلك لدراسة العلوم الدينية المختلفة في الربط والخوانق .....

(هذا وَما تَوفِيقِي إلا بالله عَليهِ تَوَكَّلتُ وَإليهِ أُنيبْ)

الهـوامش

(1) الفيومي ، المصباح المنير ، ج 1 ، ص 146 .
(2) ابن منظور ، لسان العرب ، ج 5 ، ص 13 .
(3) المقريزي ، الخطط والآثار ، ج 4 ، ص 293 .
(4) سورة آل عمران ، الآية (200) .
(5) ابن منظور ، ن ، م ، ج 5 ، ص 13 .
(6) ابن منظور ، ج 5 ، ص 13 .
(7) ابن منظور ، ج 5 ، ص 14 .
(8) سورة آل عمران ، الآية (200) .
(9) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، م 1 ، ص 217 .
(10) ابن منظور ، ن ، م ، ج 5 ، ص 114 .
(11) سورة الأنفال ، الآية (60) .
(12) جواد ، مصطفى ، الربط الصوفية البغدادية وأثرها في الثقافة الإسلامية ، ص 15 .
(13) الخوانق ، والخانقاه و (خانكاه) بالفارسية ، التونجي ، المعجم الذهبي ، ص 236 .
(14) السمعاني ، الأنساب ، ج 5 ، ص 17 ؛ ابن الأثير ، اللباب ، ج 1 ، ص 415 .
(15) طلس ، التربية والتعليم ، ص 114 .

(16) السمعاني ، ن ، م ، ج 5 ، ص 28 .
(17) الهادي ، الحياة العلمية في أصفهان في العصر السلجوقي ، ص 121 .
(18) أبو محجوب ، الخوانق والزوايا في بيت المقدس ، ص 56 .
(19) طلس ، ن ، م ، ص 112 .
(20) مجهول ، القندية ، ص 29 وما بعدها ،
(21) طلس ، ن ، م ، ص 112 .
(22) لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص 476 .
(23) لسترنج ، ن ، م ، ص 477 وما بعدها .
(24) السمعاني ، ن ، م ، ج 2 ، ص 96 .
(25) معروف ، أصالة الحضارة ، ص 459 – 460 .
(26) السمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم ، تنبيه الغافلين وبهامشه بستان العارفين ، ص181 .
(27) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 466 ؛ وأنظر : الاصطخري ، مسالك ص 163 .
(28) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص 557 .
(29) القزويني ، ن ، م ، ص 558 .
(30) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص 272 .
(31) السمعاني ، ن ، م ، ج 3 ، ص 209 .
(32) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج 6 ، ص 77 ؛ وأنظر : الصفدي ، الوافي ، ج 9 ص 88 .
(33) الأصطخري ، مسالك ، ص 163 .
(34) ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، ج 4 ، ص 441 .
(35) مجهول ، قندية ، ص 21 .
(36) مجهول ، ن ، م ، ص 22 .
(37) مجهول ، ن ، م ، ص 25 .
(38) ابن خلكان ، ن ، م ، ج 4 ، ص 442 .
(39) السمعاني ، ن ، م ، ج 1 ، ص 175 .
(40) ابن أبي الوفاء ، الجواهر المضية ، ج 1 ، ص 67 ؛ ابن الأثير ، اللباب ج 3 ، ص 301 ؛ ابن الجوزي ، ن ، م ، ج 1 ، ص 10 ؛ ياقوت ، البلدان ، ج 4 ص 343 .
(41) ابن الجوزي ، ن ، م ، ج 9 ، ص 44 ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج 3 ص 183 .
(42) السمعاني ، ن ، م ، ج 1 ، ص 363 .
(43) السمعاني ، ن ، م ، ج 5 ، ص 28 .
(44) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج 3 ، ص 131 .
(45) مجهول ، ن ، م ، ص 30 .
(46) ن ، م ، ص 42 .
(47) ن ، م ، ص 43 .
(48) ياقوت ، البلدان ، ج 2 ، ص 389 .
(49) السمعاني ، ن ، م ، ج 1 ، ص 519 .
(50) ن ، م ، ج 1 ، ص 52 .
(51) السيوطي ، بغية الوعاة ، ص 66 .
(52) ابن الجوزي ، ن ، م ، ج 10 ، ص 99 .
(53) المقريزي ، ن ، م ، ج 4 ، ص 293 .
(54) جواد ، مصطفى ، الربط البغدادية ، ص 224 .

(55) جواد ، مصطفى ، ن ، م ، ص 225 .
(56) معروف ، ن ، م ، ص 459 .
(57) مجهول ، ن ، م ، ص 27 .
(58) شعيرة ، عبد الهادي ، المرابطون في الثغور البرية والبحرية ، ص 165 .
(59) شعيرة ، ن ، م ، ص 166 .
(60) الغزالي ، أبو حامد محمد بن أحمد ، إحياء علوم الدين ، ج 2 ، ص 8 .
(61) شعيرة ، ن ، م ، ص 166 .
(62) زكي ، مبارك ، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، ج 1 ، ص 356 .
(63) أبو محجوب ، الخوانق والزوايا في بيت المقدس ، ص 39 .
(64) أبو محجوب ، ن ، م ، ص 40 .
(65) ن ، م ، ص 41 .
(66) زكي ، مبارك ، ن ، م ، ج 1 ، ص 357 .
(67) الخطيب ، الإطار الدفاعي عند الصوفية ، ص 30 .
(68) الخطيب ، ن ، م ، ص 312 – 32 .
(69) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ج 4 ، ص 255 .
(70) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 10 ، ص 44 .
(71) ابن كثير ، ن ، م ، ج 1 ، ص 45 .
(72) المقريزي ، ن ، م ، ج 2 ، ص 427 .
(73) أبو محجوب ، ن ، م ، ص 40 .
(74) المقدسي ، ن ، م ، ص 273 .
(75) السهرودي ، عوارف المعارف ، ص 92 .
(76) السهرودي ، ن ، م ، ص 93 .
(77) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص 357 .
(78) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج 1 ، ص 37 .
(79) ابن الجوزي ، ن ، م ، ج 1 ، ص 121 .
(80) الاصبهاني ، خريدة العصر وجريدة العصر ، ج 4 ، ص 390 ؛ ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، ج 5 ، ص 357 .
(81) ابن الساعي ، مختصر أخبار الخلفاء ، ص 113 .
(82) ابن الفوطي ، ن ، م ، ج 4 ، ص 267 .
(83) الاصبهاني ، ن ، م ، ج 4 ، ص 390 .
(84) ن ، م ، ج 4 ، ص 393 ؛ ابن الساعي ، ن ، م ، ص 114 .
(85) ابن الساعي ، ن ، م ، ص 114 .
(86) ن ، م ، ص 115 .
(87) العمايرة ، الفكر التربوي الإسلامي ، ص 151 .
(88) مرسي ، تاريخ التربية في الشرق والغرب ، ص 220 .
(89) الذهبي ، دول الإسلام ، ص 81 .
(90) الذهبي ، المختصر المحتاج إليه ، ج 1 ، ص 76 .
(91) ابن الساعي ، الجامع المختصر في عنوان التواريخ ، ج 9 ، ص 210 .
(92) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص 286 .
(93) ابن الفوطي ، ن ، م ، ص 287 .

(94) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8 ، ص 586 .
(95) ابن الفوطي ، ن ، م ، ص 287 .
(96) ن ، م ، ص 409 .
(97) شيخ الشيوخ ، استعمل هذا اللقب قبل هذه الفترة ، إلا إنه كما يبدو قد أطلق على مشايخ بعض الربط ، كما حصل لأبي سعد النيسابوري أحمد بن محمد بن دوست المتوفى (479هـ / 1083م) ؛ أنظر : ابن الجوزي ، المنتظم، ج 9 ، ص 11 ؛ والذهبي ، العبر ، ج 3 ، ص94.
(98) ابن الساعي ، ن ، م ، ص 217 .
(99) الذهبي ، المختصر ، ج 1 ، ص 218 .
(100) ابن الفوطي ، ن ، م ، ص 14 .
(101) السهرودي ، ن ، م ، ص 92 .
(102) ابن الساعي ، مختصر أحبار الخلفاء ، ص 113 .
(103) ابن الساعي ، ن ، م ، ص 114 .
(104) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب ، ج 4 ، ص 268 .
(105) الاصبهاني ، ن ، م ، ج 4 ، ص 390 .
(106) الاصبهاني ، ن ، م ، ج 4 ، ص 161 .
(107) ن ، م ، ج 4 ، ص 162 .
(108) ابن الفوطي ، ن ، م ، ج 5 ، ص 357 .
(109) محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج 6 ، ص 41 .
(110) الحسن الاربلي ، مدارس دمشق ، وربطها وجوامعها وحماماتها ، ص 15.
(111) الشيخ ارسلان الدمشقي ، إمام السالكين وشيخ المجاهدين ، ص 273 .
(112) أبو شامة المقدسي ، الروضتين في أخبار الدواتين ، ج 1 ، ص 9 .
(113) البير شاندور ، صلاح الدين الأيوبي البطل الأنقى في الإسلام ، ص 117 .
(114) المرتضى الزبيدي ، ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب ، ص 899 .
(115) نوري ، عبد القادر ، سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد الشام والجزيرة ص 438 .
(116) المقريزي ، ن ، م ، ج 2 ، ص 415 ؛ ابن إياس ، بدائع الزهور ، ص 242 .
(117) العماد الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص 140 .
(118) ابن الوردي ، تتمة المختصر في أخبار البشر ، ج 2 ، ص 147 .
(119) ابن كثير ، ن ، م ، ج 12 ، ص 193 .
(120) ابن خلكان ، ن ، م ، ج 4 ، ص 217 .
(121) السهرودي ، ن ، م ، ص 115 .
(122) ن ، م ، ص 116 .
(123) الكرامية : هي مذهب ديني سياسي ، مؤسسها (محمد بن كرام بن عراف) المتوفى سنة (255هـ / 859م) ، عُد الكرامية من المذاهب المجسمة ، ومن قولهم : ((إن الله جسم له حد ونهاية من الجهة التي يلاقي بها عرشه ، وإن الإيمان ، هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب)) ؛ الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ج 1 ، ص 141 ؛ البغدادي ، الفرق بين الفرق، ص 131 ؛ نوري ، مفيد ، الكرامية حركة دينية وسياسية مجلة آداب الرافدين ، جامعة الموصل لسنة 1971م ، العدد (1) ن ص 153 – 164 .
(124) المقدسي ، ن ، م ، ص 273 وما بعدها ،
(125) أبو محجوب ، ن ، م ، ص 25 – 32 .
(126) الهادي ، إبراهيم الهادي محمد ، الخوانق والربط والزوايا في مصر المملوكية ، ص 30 .
(127) المقريزي ، ن ، م ، ج 2 ، ص 216 .

(128) الهادي ، ن ، م ، ص 35 وما بعدها .
(129) مرسي ، ن ، م ، ص 220 .
(130) جواد ، مصطفى ، ن ، م ، ص 40 .
(131) علاء فاروق ، مراكز الثقافة الإسلامية في آسيا الوسطى ، ص 30 ؛ وأنظر : عبد المؤمن سيد أكرم ، أضواء على تاريخ تركستان ؛ محمود سيد قمر ، تاريخ الحضارة الإسلامية في آسيا الوسطى ؛ سعيد أحمد سلطان ، محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز .
(132) الحسيني ، البخاري ، ص 67 .
(133) ياقوت ، ن ، م ، ج 4 ، ص 245 .
(134) ابن الأثير ، اللباب ، ج 3 ، ص 188 .
(135) ابن ماكولا ، الإكمال ، ج 1 ، ص 21 .
(136) السيوطي ، طبقات الحفاظ ، ص 269 .
(137) الحسيني ، ن ، م ، ص 65 .
(138) المقدسي ، ن ، م ، ص 348 .
(139) المقدسي ، ن ، م ، ص 348 .
(140) ابن كثير ، ن ، م ، ج 11 ، ص 70 .
(141) الزشنحي ، تاريخ بخارى ، ص 31 .
(142) الزشنحي ، ن ، م ، ص 27 ؛ المقدسي ، ن ، م ، ص 334 .
(143) ن ، م ، ص 34 ؛ المقدسي ، ص 282 .
(144) الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص 123 .
(145) بارتولد ، تركستان ، ص 218 .
(146) المقدسي ، ن ، م ، ص 273 .
(147) ن ، م ، ص 274 .
(148) الأصطخري ، المسالك ، ص 163 .
(149) طلس ، ن ، م ، ص 114 .
(150) ن ، م ، ص 111 .
(151) تيمور : هو تيمولنك أو تيمور الأعرج (736هـ / 1336م) ، مؤسس السلالة التيمورية (1370– 1405م) في وسط آسيا ، وفي معركة أنقرة (804هـ م 1402م) انهزم السلطان العثماني بايزيد هزيمة ساحقة ووقع في الأسر هو وأبنائه ، ولم يتحمل السلطان العثماني فمات كمداً في 15 شباط (805هـ / 1403م) .
(152) علاء فاروق ، ن ، م ، ص 53 .
(153) ن ، م ، ص 56 .
(154) محمد عبده ، الأعمال الكاملة ، ج 3 ، ص 530 .
(155) الفتاوى المصرية ، اقتبسه علي الفقير في رسالته ، ج 1 ، ص 130.
(156) حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص 134 .
(157) محمد أمين بلغيت ، الربط في المغرب الإسلامي ، ص 196 .
(158) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة (رباط) ، ص 24 .
(159) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج 4 ، ص 238 .
(160) محمد فتاح ، مفهوم الجهاد والاتحاد في الأدب الأندلسي ، ص .183
(161) ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ج 2 ، ص 202 .
(162) ابن العربي ، قانون التأويل ، ص 36 .

(163) أنظر : ابن سحنون ، آداب المعلمين والمتعلمين ؛ ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ؛ الزرنوجي ، برهان الإسلام ، كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1 – ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي كرم (ت 630هـ) (الكامل في التاريخ) ، مطبعة بيروت ، 1385هـ / 1965م .

2 – ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي كرم (ت 630هـ)، (اللباب في تهذيب الأنساب) ، القاهرة ، 1357هـ / 1961م .

3 – ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت 774هـ) ، (البداية والنهاية) مطبعة السعادة ، ط1، مصر ، 1351هـ / 1932م .

4 – ابن حوقل ، أبو القاسم النصيبي (ت 367هـ) ، (صورة الأرض) ، مكتبة الحياة ، بيروت ، 1979م .

5 – ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين بن علي البغدادي (ت 597هـ) (المنتظم في تاريخ الأمم والملوك) ، ط 1 ، حيدر آباد ، الركن ، 1357هـ / 1961م .

6 – ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين بن علي البغدادي (ت 597هـ) (صفة الصفوة) ، مطبعة دار المعرفة ، ط 2 ، بيروت ، 1399هـ / 2003م .

7 – ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ) ، (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) ، مطبعة السعادة ، ط 1 ، القاهرة 1367هـ / 1948م .

8 – ابن الساعي ، تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب البغدادي (ت 674هـ) (مختصر أخبار الخلفاء) ، مطبعة الأميرية ، مصر ، 1309هـ / 1913م .

9 – ابن الفوطي ، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني (ت 723هـ) ، (تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب) ، طبعة دمشق ، بلا . ت .

10 – ابن الفوطي ، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني (ت 723هـ) ، (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة) ، بغداد 1351هـ / 1954م .

11 – ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت 749هـ) ، (تتمة المختصر في أخبار البشر) ، تحقيق : أحمد رفعت البدراوي ، دار المعرفة ، ط 1 ، بيروت 1970م .

12 – ابن ماكولا ، أبو النصر علي بن هبة الله (ت 475هـ) (الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والألقاب) ، ط 1 ، حيدر آباد الركن ، 1381هـ / 1961م .

13 – ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين بن محمد مكرم (ت 711هـ) (لسان العرب) ، مطبعة دار التوفيقية للتراث ، القاهرة ، 1405هـ / 2009م .

14 – ابن سحنون ، أبو عبد الله محمد ... ، (آداب المعلمين والمتعلمين) ، دار الكتاب الشرقية ، تونس ، (1392هـ / 1972م) .
15 – ابن جماعة ، ..... ، (تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم) دار الكتاب العلمية ، بيروت .
16 – ابن أبي الوفاء ، محمد عبد القادر القريشي (ت 775هـ) ، (الجواهر المضية في طبقات الحنفية) ، حيدر آباد ، الركن ، الهند ، 1322هـ / 1926م .
17 – ابن الآبار ، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت 658هـ) (الحلة السيراء)، تحقيق : حسين مؤنس ، بيروت ، 2009م .
18 – ابن العربي ، محمد بن عبد الله المعافري الاشبيلي (ت 543هـ) (قانون التأويل) ، دار القبلة جدة ومؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ط 1 ، (1406هـ / 2009م) .
19 – أبو محجوب ، إبراهيم اليوزباشي ، (الخوانق والزوايا في بيت المقدس) بيروت ، 2005م .
20 – أبو شامة المقدسي ، شهاب الدين (ت 665هـ) ، (الروضتين في أخبار الدواتين) ، دار الجيل ، بيروت ، 1970م .
21 – الاصبهاني ، أبو عبد الله محمد بن صفي الدين (ت 597هـ) ، (خريدة القصر وجريدة العصر) ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 1375هـ / 1955م) .
22 – الاربلي ، الحسن بن أحمد بن زفر الدمشقي ، (ت 726هـ) ، (مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها) ، مطبعة الترقي ، دمشق 1965م .
23 – الأصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت 346هـ) ، (المسالك والممالك) ، مطبعة دار القلم ، القاهرة ، 1381هـ / 1961م .
24 – الأشعري ، علي بن إسماعيل (ت 324هـ) ، (مقالة الإسلاميين واختلاف المصلين) ، ط 2، دار النشر فيسباون ، (1382هـ / 1963م) .
25 – بارتولد فلاديمير ، (تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي) ترجمة : صلاح الدين عثمان ، ط 1 ، الكويت ، (1401هـ / 1981م) .
26 – البغدادي ، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت 429هـ) (الفرق بين الفرق) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث القاهرة 2007م .
27 – البير شاندور ، (صلاح الدين الأيوبي البطل الأنقى في الإسلام) ، ترجمة : سعيد أبو الحسن ، دار طلاس ، ط 1 ، دمشق ، 1988م .
28 – التونجي ، محمد ، (المعجم الذهبي) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 1 1969م .
29 – جواد ، مصطفى ، (الربط الصوفية البغدادية وأثرها في الثقافة الإسلامية) دار العربية للموسوعات ، لبنان ، 2006م .

30 – الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت 900هـ) ، (الروض المعطار في خبر الأقطار) ، مطبعة دار القلم ، بيروت ، 1975م .
31 – حسن إبراهيم حسن ، (تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) ، القاهرة ، (1353هـ / 1935م) .
32 – حسن أحمد محمود ، (قيام دولة المرابطين) ، مكتبة النهضة المصرية 1957م .
33 – الحسيني ، عبد المجيد هاشم ، (الإمام البخاري محدثاً وفقيهاً) ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .
34 – الخطيب ، أسعد ، (الإطار الدفاعي عند الصوفية) ، عضو اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، (1434هـ / 2013م) .
35 – الذهبي ، شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ) (تذكرة الحفاظ) ، مطبعة دار التراث العربي ، بيروت ، بلا . ت .
36 – الذهبي ، شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ) ، (دول الإسلام) ، ط 2 ، حيدر آباد ، (1364هـ / 1964م) .
37 – الذهبي ، شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ) (المختصر المحتاج إليه) ، مطبعة دار المعارف ، بغداد ، (1371هـ / 1951م) .
38 – السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد (ت 562هـ) ، (الأنساب) ط 1 ، حيدر آباد ، (1383هـ / 1963م) .
39 – السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ) ، (بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة) ، ط 1 ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، (1326هـ / 1929م) .
40 – السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ) ، (طبقات الحفاظ) ، القاهرة ، (1389هـ / 1969م) .
41 – السمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم (ت 373هـ) ، (تنبيه الغافلين وبهامشه بستان العارفين) ، ط 1 ، بيروت ، (1399هـ / 1979م) .
42 – السبكي ، أبو النصر عبد الوهاب بن علي (ت 771هـ) ، (طبقات الشافعية الكبرى) ، ط 1، مطبعة الحسينية ، مصر ، (1324هـ / 1928م) .
43 – السهرودي ، شيخ الشيوخ شهاب الحق والدنيا عمر بن محمد التيمي (ت 632هـ) ، (عوارف المعارف) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1966م.
44 – سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف قزاوغلي بن عبد الله البغدادي (ت 654هـ)، (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان) ، للفترة (345 – 447هـ) ، دراسة وتحقيق : جنان جليل محمد الهموندي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، 1987م .
45 – شعيرة ، عبد الهادي ، (المرابطون في الثغور البرية والبحرية) ، المغرب 1916م .

46 – الصفدي ، أبو الصفا صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ) ، (الوافي بالوفيات) ، مطبعة المعارف ، استانبول ، 1949م .
47 – طلس ، أسعد محمد ، (التربية والتعليم في الإسلام) ، دار العلم للملايين ط 1 ، بيروت ، 1957م .
48 – عماد الدين الكاتب الأصفهاني ، (الفتح القسي في الفتح القدسي) ، تحقيق : محمد محمود صبح، القاهرة ، 1965م .
49 – العمايرة ، محمد حسن ، (الفكر التربوي الإسلامي) ، ط 1 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان / الأردن ، (1421هـ / 2000م) .
50 – علاء ، فاروق ، (مراكز الثقافة الإسلامية في آسيا الوسطى) ، مركز القاهرة للدراسات التركية، 2008م .
51 – الغزالي ، أبو حامد محمد بن أحمد (ت 505هـ) ، (إحياء علوم الدين) القاهرة ، (1269هـ / 1873م) .
52 – الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي (ت 770هـ) ، (المصباح المنير) المطبعة الإسلامية ، القاهرة ، 1922م .
53 – القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت 632هـ) ، (آثار البلاد وأخبار العباد) ، مطبعة دار بيروت ، (1380هـ / 1960م) ؛
54 – لسترنج ، كي / (بلدان الخلافة الشرقية) ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة بغداد ، (1373هـ / 1945م) .
55 – المقدسي ، أبو عبد الله بن أحمد البشاري (ت 388هـ) ، (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، مطبعة بريل / ليدن ، ط 2 ، 1906م .
56 – المقريزي ، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت 845هـ) ، (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) ، مصر ، 1922م .
57 – المرتضى الزبيدي (ت 1205هـ) ، (ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب) ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، دمشق ، 1971م .
58 – محمد كرد علي ، (خطط الشام) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1972م .
59 – معروف ، ناجي ، (أصالة الحضارة العربية) ، ط 1 ، مطبعة التضامن بغداد ، (1389هـ / 1969م) .
60 – مرسي ، محمد منير ، (تاريخ التربية في الشرق والغرب) ، القاهرة ، بلا . ت .
61 – محمد فتاح ، (مفهوم الجهاد والاتحاد في الأدب الأندلسي) ، مجلة عالم الفكر ، المجلد (12)، العدد الأول ، إبريل / مايو ، الكويت ، 1981م .
62 – محمد أمين بلغيت ، (الربط بالمغرب الإسلامي) ، دار بو سلامة ، تونس 1990م .

63 – محمد عبده ، (الأعمال الكاملة) ، تحقيق : محمد عمارة ، دار الشروق القاهرة ، ط 1 ، 1993م .

64 – نوري ، مفيد ، (الكرامية حركة دينية وسياسية) ، مجلة آداب الرافدين كلية الآداب ، جامعة الموصل ، لسنة 1971م ، العدد (1) .

65 – الزشنحي ، أبو بكر محمد بن جعفر (ت 348هـ) ، (تاريخ بخارى) ترجمة : د . أمين عبد الحميد بدوي ، دار المعارف ، مصر ، 1965م.

66 – نوري ، عبد القادر ، (سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد الشام والجزيرة) ، دمشق ، 2004م .

67 – الهادي ، إبراهيم الهادي محمد ، (الحياة العلمية في أصفهان في العصر السلجوقي) ، بيروت ، 2006م .

68 – ياقوت الحموي ، أبو عبد الله شهاب الدين (ت 626هـ) ، (معجم البلدان) ، طهران ، 1965م .

"Abstract"

The connection in the origin, means the cooperation against the enemy by the war, but horse's connectivity were meant such as sparing places for the visitors in the blessed cities and its visitors, and it became as aim for religious educating and some of methods such as the Sofian.

The God says ((text from Holy Quran)) you must be patient on your religion and fight your enemy and for making connectivity with each other for fighting in the war

The Khawaniq, is the houses which were done for the Sofians whom were worship and it is called (Sofians' connectivity) or in other meaning, the House of Darawesh and guides whom makes their Sofian ceremonies.

In countries of the behind of river's , the connection and Khawaniq, specially in Bukhara and Samarqand and others from the cities were diffused and the Ibn Hawqal in his book (land's picture) said that it was ten thousand connectivity, for Jihad and for the way of the God and this is were certified by the Qazwiny in his book (countries' aftermaths and people's news(

The relationship were found between the scientists in the countries behind of the river, and other Islamic countries in Iraq and Syria and Jerusalem and Hijaz and North Africa and Andalusia, for studying religious sciences in connectivity and Khawaniq.

The Researcher